الى مُحِبّ مطرانه

تحية الاجلال والولاء

طبق الفـــــول[1]

ما جرح بميت ايلام (المتنبي) [2]

اتنبه سعد افندي وهو يعالج عقدته[3] امام المرآة أن وجههُ محتاج الى كثير ماء . وما أدري أنسي ان يغسل وجههُ ذلك الصباح ام تناسى لكرهه الماء وفزعه منهُ . فشاور نفسه هل يقصد الى الحمام الى ان فعل مكرهاً وكأنّ دخوله الحمام في تقديم رجل وتأخير اخرى دخول عروس حجرة العرس . ثم انهُ لما فرغ من غسل بعض وجهه بادر شباكه وفتحه قبل ان ينطلق الى الفوّال ومنهُ الى الوزارة فاذا امرأةٌ في الحسين من عمرها في شرفة قدامهُ فحياها حانياً رأسهُ تحيةً تدل على انهُ يعرفها من زمن . فردت المرأة التحية باسمة ففتح سعد افندي فمه اغتباطاً وكأنّ فمهُ عندئذٍ شقّ صندوق بريد . ثم انهُ انصرف خيفة ان يفوتهُ قسطه اليومي من الفول

على ان تفضيله طبق الفول على مناظرة جارته مما يجعلك تعتقد انها لم تكن بالغة من نفسه مبلغاً عظيماً . ولكن الامر غير ذلك

ما كان سعد افندي يطلب نساء ولا حدثهنّ بل كان من ابعد الناس عن مغازلتهنّ لحياء غالب عليه وجهل لاطوارهن . وكان من قوم لم يولدوا ليكونوا عشاقاً فما من بطش في الحب عندهم ولا سلطة وما من دراية في مواصلة المرأة ولا دهاء — وكان لا يذكر انهُ اغلظ لامرأة يوماً من الايام في الكلام فلقد كان حيياً حتى البله — على ان طول انزوائه عن النساء وكزفي طبيعته النفور منهنّ فطاب نفساً عنهنّ . وكان يصارح اصدقاءه الامر ولم يكن يستحي منهُ . وقلما نجد رجلاً يعترف بأنهُ لا يهوى النساء وان هويهنّ انهُ غير موفق عندهنّ

فاذا كان الامر كذلك فالام صارت عاطفة سعد التاسلية ؟ اذ لا تقضي المواطف

(١) حقوق النشر محفوظة للمؤلف (٢) روح القصة (٣) كرافته

الطبيعية تلبس لبوساً جديداً . فهذا ميل الرجال الأولين الى الحرب قد استحال بالمدنية ميلاً الى الرياضة ؟

إن شهوة سعد صارت الى الشره . فراح الرجل يقضي صباحهُ ومساءهُ بين المطعم والمقهى هنا يشرب حتى تنتفخ اضلاعه وهناك يأكل حتى يتخم وكان بطنه عنوان شرهه إذ كان يحط في الفضاء نصف دائرة يملأ جانبها الاسفل بنطون ازرق دائماً ، يسمى انا وايالك

ثم ان سعد افندي كان رقيق الحال انما راتبه الشهري احد عشر جنيهاً ينفق منها ستة في المطعم واثنين في المقهى واثنين لكراء الغرفة التي يسكنها وتسعة وتسعين قرشاً بين الصيدلاني والحلاق وفرّاش الوزارة والصور المتحركة ثم قرشاً واحداً في شراء صابون

على ان الرجل كان قرير العين على هذه الحال مطمئناً الى رَحْب بطنه ونتن جسمه لا يحسد احداً بل لا يجلب الحسد على نفسه فلا مناضة بينهُ وبين خلانه من اجل امرأة ولا تبذير في زهرة ولا قشمريرة ساعة البرد[1]

***

وكان قد اتفق ان سكن بإزاء البيت الذي يقيم به سعد اسرةٌ ربها شيخ فاضل طالما نازعتهُ زوجهُ في تنشئة ابنتها وكانت تريدها مثلها ذات دلال وافنة من الدنيا وقفة المكابر عادلةً عن السذاجة والسليقة الى التكلف والتصنع . وكان الشيخ يأبى على زوجهِ ما تريدهُ وان كان اعرض عن سفهها خشية ان تنقد عليهِ غَبْرةً فتصرّ على جهالتها

وكانت زوجهُ امرأة مستديرة الوجه عدّت مع طول انفها من جميلات النساء لعشرين سنة خلت — غير انها ما ارادت قط ان تعترف بالانكسار والدهر حامل عليها متطاول بل جعلت تقاومهُ بكل ما اوتيت من حذق ودهاء — فأخذت تصنع كل اسبوع دُهناً من لبن وبيض وليمون تبسطهُ على وجهها لترد اليهِ بعض رونقه العتيق ثم شرعت تلتقط بمالغ من السكر ما هبّ من شعر على خديها وجبهتها . وكانت تخضب شعرها بسائل يبثهُ لها عطار الناحية

وكانت فوق ذلك من اكثر النساء اقبالاً على الدمام من ابيض وأحمر واصفر . وكانت قد سألت عطارها ان يعد لها كحلاً اخضر لتأخذ به عينيها والراجح في الرأي انها عمدت الى هذا اللون الآخر كي يصبح وجهها في استدارته وشتى الوانه قوس قزح تام الشكل — ثم انها كانت تلبس لباس فتاة فن معطف موشّى من اعلاه الى

(١) الاغتسال بالماء البارد

اسفله ومن جوارب رقيقة يبرز خلالها من هنا وهناك شعر مستطيل تائه ومن حذاء شاذ له كعب طوله طول اتفها

* * *

تلك المرأة التي صبا اليها صاحبنا سعد وطبيعي ان يكون غرًّا . ذلك أنَّ من المضطرد الاَّ يميل الى العجائز الاَّ الصبيان او من كان مثلهم جهلاً بالهوى واندفاعاً فيه

والذي خيل سعداً نظرات جارته اذ اصبنَ بين جنبيه من الكبْر والبله المتأصلين في كل منا موضعاً فارغاً كل الفراغ — فاغتر الرجل وأعجب بنفسه فصعد من بين جنبيه حتى رأسه ما دوّخهُ بل ختم على عينيه . فقاتلها الدمام والكحل وما وراءهما من مصايب البرج . غير ان سعداً كان لا يجرؤ الاَّ على نظرات مختلسة او سلام كلهُ ادب . ولم يكن جهله بمداعبة النساء السبب الوحيد في ذلك . فانهُ احسَّ على البديهة ان حالته تناقض شروط المغازلة لانهُ كان قرأ في بعض روايات إستمارها لفرّاش الوزارة ان العاشق امرؤ حسن البزّة . فان اراد ان يستجلب جارتهُ فانما ينبغي له ان يغتسل وينظف بنطلونه الازرق اللهم الاَّ اذا امتنع عن شراء غيره . فأُشكل عليه الامر ولم يدر ايستميل جارتهُ ويداور مواصلتها (وكان يُسرعد كلما تمثلت له هذه الغاية) فيطير اذاً الى الطبب ويرضى بالماء ويودع ما نزل بنطلونه من بقع زيت وسمن وخل تلك البقع القرية الى قلبه . ولكن من أين لهُ هذا مع فقره . فقام في ذهنه حلٌّ واحد الاقتصاد في النفقة . فلم يلبث ان طلّق بنطلونه الازرق وفي نفسه ما فيها من حسرة على انقباض بطنه في المستقبل !

غير انهُ اراد بعد ذلك ان يعلن حبه لجارته وكان يجهل كيف يصنع فرجع الى تلك الروايات فذكر ان العاشق ينطلق فيها الى معشوقته يوم عيد ليقدم اليها باقة من الورد

* * *

نبه سكان «العباسية» ذلك الفجر فرقعات متواصلة وأصوات تصيح «يانايم ياخفة نوم شم النسيم ياخفة نوم» فتنبه سعد افندي مغضباً حنقاً لانهُ نُزع من اسعد حال اذ كان يحلم انهُ ملتزم جارته التزاماً اوله الهوس وآخره الموت . . . ولو علم انه مامن بلية بعد التزام الرجل المرأة . . الاَّ انه نهض ثم خفَّ الى المطبخ وتناول بصلة غمسها في الخل ثم دسَّها في انفه بقوة . وكأنما الخل خلّص تلافيف دماغه مما علق بها من طول اكل الفول فتطرله من فوره رأي ثاقب اذ قال في نفسه ان اليوم عيد فلا مضيَّ الى جارتي وبين يدي باقة من الورد

فما دقت الساعة تسعاً الاَّ كان سعد افندي ممشط الشعر مطيب محلوق الذقن حتى تحت عينيه

لامع الشارب — وكان مع ذلك قذر الاذنين ولم يلتفت الى الامر لطول عهده به — على انهُ ظل ساعة امام المرآة يعدل طربوشه ويصلح من هندامه . ثم انه انطلق الى بائع الورد واشترى باقة جميلة ذهب بها الى بيت جارته . فمرج في السلم مضطرب القدمين حتى انتهى الى باب الدار فدقه في مهلة

انفتح الباب ومثل به شيخ لم يره سعد قط . فصوّب الشيخ فيهِ نظره وصعّده ثم قال له ما حاجتك فسكت صاحبنا فأعاد الرجل السؤال في غضب فتتعتع سعد تائه العين ثم قال وجيئه يتفصد عرقاً اسألك ان تقدم هذه الباقة الى ربة المنزل ثم قذف بالورد بين يدي الشيخ في اسرع من البرق وانحدر يكبكب في السلم كأن شيطاناً شبّ في دُبُره ناراً

***

بيد ان الشيخ صاح بامرأته وقال لها خبريني بالامر قالت أي امر تعني فذكر لها ما كان بينه وبين سعد . قالت هل لك ان تصف لي الرجل فوصفه لها فعرفت جارها . فسرّت سروراً جمًّا ولكنها دارت ما بها فقالت ما اعرف الرجل قال سواء عليَّ اعرفته ام لم تعرفيه هذا رجل حسناني طاقة من الورد لا دفعها الى ربة المنزل ثم تزين قالت عجباً قال بل خبثاً ورثاء قالت معاذ الله قال والله انك لتدبرين امراً فاضطربت المرأة ووقع في نفسها ان زوجها عالم بحالها . ثم انه صاح بها هلا تخبريني قالت ما ادري شيئاً فاخبرك به قال دعيني فأنا اسأل مَن هو اعلم منك بالامر . قالت والهة العقل من يا هذا قال ابنتنا قالت وما يدريها بالامر قال عندي انك تلتمسين لها زوجاً على شاكلتك فوقفت اليهِ فتعارفا على يدك وربما تراسلا بل تقابلا وأنا جاهل بما يجري في منزلي، واليوم اقبل الرجل ليقدم الى ابنتي طاقة من الورد

فما كاد يفرغ الشيخ من كلامه حتى صوتت المرأة فسارع اليها وقال لها ما بك فنظرت اليهِ نظرة ملؤها السخط والغيظ ثم اخرت رجلاً وفي نفسها ما لو علم الشيخ لجُنّ :

« يا لله اقبحت في عين زوجها قبحاً بلغ به الا يظن بها سوءاً . او عجزت حتى لا يبعث اليها رجل من الرجال بورد — او نزلت من زوجها منزلة المرأة المحكوم عليها بالقرار من بيتها والزهد في الدنيا لتطاول العُسُر عليها . وان كانت منزلتها من زوجها هذه فما منزلتها من الناس . فتحقق لها ان دهنها وخضابها وكحلها ودلّها ما يستزنّ من عمرها ولا يكشفنّ عنها بلاياه — ففزعت من الحقيقة وحنقت عليها وكرهت نفسها بل جميع الناس وارادت ان تنتقم منهم لانانيتها وكبرها وعجبها »

وانها لتفكر في هذا اذ الشيخ يسألها عن ابنتها ثانية فدنت منهُ وصرخت في وجهه

دع عنك شأن ابني فما انت ابوها فصاح بها وبعك ما تقولين قالت الحق قال ماصدقت قالت بلى والله فرفع الشيخ يده يريد ان يلطمها فاذا بها ادبرت بوجهها وولت فلحقها ثم تركها وشأنها أنفة وعاد مستدمع العين ضارباً بيده الى ثيابه يكاد يشقها

* * *

صد سعد عن جارته وابى ان يمضي على حبه فرقاً منهُ وتهاوناً به فخمدت تلك الشعلة الضئيلة ولو ارتفعت لكانت ردّتهُ بشراً ذا احساس — فعاد كما كان غريباً عن لذة العواطف وشيقوتها جاهلاً لاطوارها منقبضاً فيما بين جوانب حياته البيتية

غير أنه ما زال يقصد الى فوالة — فخرج اليهِ في يوم شديد البرد . وانهُ بباب الدكان اذ تعرض لهُ شيخ سلّم عليهِ . فرد سعد السلام فقال الشيخ اتعرفني قال لا معذرة قال اتذكر طاقة ورد حملتها على عجل — فاشمأز قلب سعد وتلوّن وجههُ ثم اراد ان يفرّ من وجه الشيخ فجذبهُ الشيخ اليهِ في رفق وقال لا بأس عليك فما ابتغي الا محادثتك . قال هذي السماء تطش طشًّا خفيفاً قال صدقت قال هل لك في طبق فول قال شكراً انما ادخل احالك — فأمر سعد الفوال فأتاهُ بطبق فول مجوّف فنفس فيهِ سعد يديهِ وفه وانفه جيماً فلمع وجههُ ، والله اعلم أمن التلذذ بالفول لمع أم من لحاف الزيت به

* * *

وانه لكذلك اذ اخذ الشيخ يقص عليه قصته مكتئباً وكان قد كتمها فيما بينه وبين نفسه منذ اليوم الذي عجز فيه منزله وطفق يطوف في مصر صباح مساء مذهوب العقل لا يلوي على شيء ، فان احد استطامه عما به ظلّ مبهوتاً لا يستطيع النطق ولا الحركة وكيف له ان يصارح الناس انّ ابنته مدخولة النسب ، فضم جناحه على جرحه ومضى قُدُماً في سكينة

واي استبشار كان أستبشاره عند ما لاقى سعداً . وطبيعي ان ينقم عليهِ ولكنه لم يعده الاّ شريكاً في مصابهِ ، اذ لم يكن سبب شقائه . فعزم لساعته على ان يبسط اليهِ حاله فشكا اليهِ كلّ ما صدمهُ من ثقة ضائعة وأمل خائب وعرض مستطال فيه ثم بكى بكاء طويلاً اشتجى من ورائه الموت

وكان سعد افندي ينظر الى الشيخ من حين الى حين عجباً وقد شغله طبق الفول وزيته عن الشيخ وبنيّته

بشر فارس[1]

باريس حامل ليسانس الآداب من السوربون

أ المتلطف ؟ ليس في هذه القصة البليغة حيلة تستهوي القارىء ولكنها تشتمل على ما هو ارفع مقاماً في ادب القصة من ذلك وهو وصف بارع وتحليل دقيق لبعض الحالات النفسية والعادات الذاتية يتخللها نقد لاذع يتخذ النكتة وسيلة له آنا والسخرية آناً آخر

(١) سابقاً ادوار فارس